القضية الفلسطينية تم بالفعل السياسي الفلسطيني مدعوما من العرب، وفي اطار شروط اوضاع المنطقة العربية. ويبدو ان الجغرافيا ستبقى تحكم تطور نضال الشعب الفلسطيني في الفترات المقبلة. والولوج العربي في القضية الفلسطينية كان، وما زال، فاعلا في الفعل السياسي الفلسطيني (بمعناه الشمولي).

تعريب قضية فلسطين

تعـربت قضيـة فلسطين، كقضية سياسية، قبل النكبة التي حصلت العام ١٩٤٨. ولم يتمكن الفلسـطينيـون من ابراز جانبها الوطني المستقل، في الوقت الذي تمكنت فيه الحركات السيـاسية العربية الاخرى من ابراز الجانب الوطني لقضاياها في المساحات الجغرافية التي تشكلت دولا بعد الاستقلال عن الاستعمار الاوروبي. ويعود تعريب القضية الفلسطينية الى جملة اسباب بعضها فلسطيني، وبعضها الآخر عروبي. ويمكن تلخيص تلك التجربة بالتالي:

١ ـ تدني مستوى الوعي العام لدى الشعب الفلسطيني، الذي ليس الا انعكاسا لمستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي، ومن ثم السياسي، الذي وصل اليه هذا الشعب في تلك المرحلة. فقد كانت العفوية، لا التخطيط والتنظيم، محركه الاساسي في انتفاضاته التي قام بها لمواجهة الاحتلالين، الصهيوني والبريطاني، لبلاده.

٢ ـ في ضوء ما تقدم، لم تكن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ارقى، في مستوى الوعي والتنظيم، من عموم شعب فلسطين. حتى ان تلك القيادة لم تبادر الى تحريك اي من انتفاضات الشعب الفلسطيني، بل كانت تلحق به، لتتزعمه مستفيدة من الواقع الذي كرس لها صفة الزعامة ذات الطابع العائلي، والذي انعكس على واقع تلك القيادة خلافات فيما بينها، فبحثت اطرافها المختلفة عن تعزيز لزعاماتها من خارج الفعل الشعبي الفلسطيني. فكان المعارضون يجدون في امير شرق الاردن، على سبيل المثال، سندهم، بينما كانت زعامات اخرى تجد في زعماء عرب آخرين السند، مستفيدة من الوضع الديني المتميز لفلسطين وعاصمتها القدس. بل ان من الزعامات من سعى لكسب ود بريطانيا لتثبت شرعيته في الادارة البريطانية التي كانت قائمة في اطار الانتداب. وكانت مطالب بريطانيا مقابل تقديم الدعم، «جد بسيطة»، وهي، فقط، «ضبط تحركات الشعب وتطويعه».

٣ ـ على الصعيد العربي، ساهمت زعامات الدول العربية، التي بدأت تحظى بشيء من الاستقلال منذ اواسط الثلاثينات عبر المساومة مع الدول المستعمرة، في الحد من نهوض الحركة الوطنية الفلسطينية، كاثبات لحسن نواياها تجاه بريطانيا. وذهبت تلك الزعامات الى حد تهدئة الشعـور الوطني الفلسـطيني باطلاق الشعـارات البراقة، العروبية والاسلامية، وما كان على الفلسطينيين الا انتظار قدوم جيوش ملوك الطوائف العرب لانقاذهم من الصهيونية. وقد ثبت في الحروب التي خاضتها تلك الجيوش انها لم تكن معدة اصلا لحروب تحرير، وان القيادات الوطنية العربية كانت ترى ان استقلال اقطارها هو نهاية النهايات.

٤ ـ على الصعيد العربي ايضا، لم تكن جماهير العرب افضل حالا، وعيا وتنظيما، من شقيقتها في فلسطين، فلم تكتسب العروبة او الاسلام اطرها التنظيمية الا بعد النكبة، حيث ظلت، في المرحلة السابقة لها، مجرد شعارات ـ احلام بلا مضمون، في الوقت الذي اتخذت فيه دعوات